مفهوم المدينة والتحضر

م.م عقيل جبار جميل
لطلبة المرحلة الثالثة -قسم الجغرافية – كلية التربية الجامعة المستنصرية

- يُرجَّح أن **كلمة المدينة** City كانت تطلق خاصة على المكان الذي يكون فيه القضاء وهي كلمة آرامية الأصل ،إذ إن المقطع "دين"في الكلمة يدل على معنى العدالة ،وهذا يعني أن المدينة هو المكان الذي يتوفر فيه العدل والأمن أكثر من أي مكان آخر ،لكونها مقرا للسلطة الحاكمة .
- فالمدينة أذن لا تسمى بالمدينة إلا إذا كانت مقرا لصاحب السلطان أو من يمثله ، فإذا كان صاحب السلطان هو الخليفة نفسه كانت المدينة عاصمته أو إحدى عواصمه ،وان كان والي إقليم فالمدينة عاصمة هذا الإقليم وان كان قائدا على الثغور فالمدينة قاعدة لهذا الثغر أو حصن استراتيجي فيه .

وكانت المدينة الكبيرة بالعربية تسمى مصراً وكان هذا اللفظ يطلق في عصر الفتوح الأولى على عواصم الأقاليم خاصة ،وعلى هذا الأساس كانت الكوفة والبصرة تعد أمصاراً ،فيقال المصران .

- أما كلمة **ريف** Rural،فالريف في اللغة هو الأرض القريبة من الماء ، وتطلق كلمة ريف أما على الأراضي الخصبة الداخلية على ضفاف الأنهار أو على المناطق التي تحف بالبحر أو المحيط ، كما هو الحال في مصر والعراق وسوريا من جهة ،والمغرب والأندلس من جهة أخرى ، أما شمال المغرب الأقصى فكلمة ريف هناك تطلق على أسم علم للمنطقة الجبلية الممتدة في الشمال أي جبال الريف.
- **أما القرية** villageهي مكان يتجمع فيه مجموعة من الناس ويستقرون فيه، ويكوّنون فيه مجتمعا خاصا بهم، وعادة ما يكون عدد سكانه يتراوح ما بين المائة والعشرة آلاف، وسكان القرى قد يكونون من قبيلة أو عشيرة أو عائلة واحدة، وقد يكونون من عدة عائلات أو قبائل مختلفة كما هو حال بعض القرى في العراق.
- وعلى الرغم من أن القرية تقام في الغالب في مناطق ريفية زراعية، إلا أنها أحيانا تكون في مناطق حضرية ذات جوار ريفي، مثل قرية صايفي في بيروت بلبنان، وقرية هامبستيد Hampsteadفي منطقة لندن ، كثيرا ما تضم القرية الواحدة بضع عائلات فقط، كما تتميز بيوتها عادة بالبساطة واعتماد أهلها على المواد البسيطة في البناء، كالطين والخشب، ودائما ما يسكن البيت عائلة واحدة، أو تسكن العائلة الواحدة عدة بيوت متقاربة.

- **تشترك القرى بمعظمها في صفات محددة منها:**
- صغر الحجم.
- قلة عدد السكان.
- فضلا عن الترابط الاجتماعي الكبير الذي يسود بين أفراد القرية الواحدة خصوصا إذا ما قورنت بالمدينة والمجتمع الحضري.
- كما أن الوحدات السكنية في القرى تشَّيد على مقربة من بعضها البعض، ولعل السبب في ذلك هو حب التقارب والمؤانسة بين أفراد القرية الواحدة.
- أما الأراضي المحيطة بهذا التجمع من المنازل فإنها تستثمر للزراعة.
-

- **أصبح التمييز بين المدينة والقرية في الوقت الحاضر أصعب من السابق وخاصة في المجتمعات الصناعية المتقدمة ؟**

ج/وذلك لوجود درجات متنوعة من الحياة الحضرية التي تربط المدينة والقرية وتدعى هذه الظاهرة بالاتصال الحضري –الريفي أي ان الريف لا يختلف بكل سماته عن المدينة على عكس الدول المتخلفة ذات البون الشاسع بين المدينة والقرية.

- **ما أوجه التشابه والاختلاف بين الحضرية العربية والحضرية الأوروبية؟**

ج/ الحضرية الأوروبية لم تتأثر بالترييف الحضري لان الريف الأوروبي لم يختلف كثيرا عن أسلوب الحياة الحضرية ،أما الحضرية العربية فتأثرها بالترييف كبير جدا أدى إلى طمس المعالم الحضرية في المدينة العربية ،وانعكس ذلك على الإنتاج والإبداع والابتكار والتفكر الذي اختفى تقريبا في المدينة العربية. المقصود بالترييف زيادة هجرة الريفيين إلى المدن .

سوف ندرج بعض الأسس المتبعة في كل منطقة من مناطق العالم للتمييز بينهما ،وهذه الأسس هي :

- 1-حجم السكان
- تتفق آراء الباحثين على أن هناك حداً أدنى للحجم السكاني الذي تعرف المدينة على أساسهِ ،وان كانت الآراء قد اختلفت في ماهية هذا الحجم السكاني ،وعلى سبيل المثال يعد المركز العمراني في الولايات المتحدة مركزاً حضرياً (مدينة)إذا كان عدد سكانه 2500 نسمة فأكثر بينما يرتفع هذا الرقم إلى 30000 نسمة في اليابان مثلا .
- ولحجم المدينة (عدد سكانها) علاقة بعدد سكان الدولة التي تقع فيها ومساحتها ، ويعبر عن ذلك حينئذ بالكثافة السكانية ، ويعد ذلك أمرا طبيعيا طالما أن سكان الدولة ينتشرون على مساحتها التي تضم المدن والقرى ،ولهذا نجد مستوطنات تضم أعداداً كبيرة من السكان تصل إلى 10000 نسمة ومع ذلك تعد قرى كبيرة كما هو الحال في جنوب ايطاليا وجنوبي اسبانيا كمستوطنات للفلاحين ، أو قلة المساحة الصالحة للسكن في الدول كان يغلب على مساحتها المسطحات المائية أو الجبال كما هو الحال في اليابان .

- 2-الأساس الإداري
- تتسم المدن بشكل عام بأنها ذا صبغة إدارية وهي أحد الأسس التي رفعت مستوى المستوطنة إلى مقام المدينة، متمثلة بوجود مجلس إداري أو قضائي اللذين تعينّهما الحكومة المركزية كمدير الناحية كما هو الحال في العراق ، والقرار الإداري هنا هو الذي يتحكم باستصدار أمر جعل هذه المستوطنة مدينة أم لا ،ومن ثم تهمل الاعتبارات الأخرى كعدد السكان مثلا حينما يراد لقرية حدودية مثلا أن تصبح مدينة كمأرب في اليمن 150نسمة (1977)لتكون مركزا لمحافظة مأرب ،رغم أن هذا البلد يضم بعض القرى التي يزيد عدد سكانها عن 5000 نسمة كحبابة مثلا.

- **3-المظهر الخارجي**
- يتمثل بمظهر المدينة الخارجي من بنيان ومنشآت ومصانع ومحلات تجارية وبنوك وفنادق وشوارع معّبدة وعمارة متعددة الطوابق والأدوار ومستشفيات وجامعات ،أو من مادة البناء المستخدمة والتي غالبا ما لا توجد في القرية .ومما يعاب على هذا المعيار هو انه ليس كل المدن متميزة بنمط عمرانها أو أنها تحتوي على كل هذه الأنماط كما هو حال المدن الصغيرة في العراق ومصر مثلا ،وبالمقابل ،فان القرى لم تعد هي الأخرى محتفظة ببنيانها القديم بعد التطورات الكبيرة التي شهدها العالم ، فالريف الأوروبي وبعض الأرياف العربية كما في ليبيا(مع الفارق الحضاري بينها وبين الدول المتقدمة) أضحت تنافس المدينة بعمرانها بحيث لم يشعر المتنقل من المدينة إلى الريف بتغير ملموس ولا سيما في دول العالم الصناعي .

- **4-الأساس الاجتماعي**
- بالرغم من أن النظم الاجتماعية الحضرية والريفية يجمعهما قاسم مشترك يتمثل بانتمائهما للنظام الإنساني (البشري) ويربطهما رابطة المواطنة لانتمائهما لوطن واحد ،إلا إن آليات الضبط الاجتماعي للنظام الحضري ينبثق من الخصائص الفريدة للإنسان الحضري من حيث انه كائن اجتماعي ذو ثقافة مميزة أكثر من الإنسان الريفي ،فهو أكثر انفتاح للتعليم والتغيير وأكثر استجابة للمتغيرات الحضارية من الإنسان الريفي ،كما انه يميل إلى تحسين نوعية حياته ،مما يجعل إنتاجه المادي أيضا يزداد بمتوالية هندسية يعبر عنها بالنمو الاقتصادي المستمر ،وهذه كلها إسقاطات لأفعال مرتدة ايجابية –وهذا هو بيت القصيد-لان النظم الحضرية بما تتيحه من تجمعات بشرية تهيئ الفرصة لكي تعمل هذه الأفعال المرتدة الايجابية عملها في محيط اكبر .

5-الأساس التاريخي

يرتبط هذا الأساس بتاريخ المدينة ،إذ كلما كان للمدينة تاريخ طويل دفع باتجاه ترسيخ حضريتها ،لكن هذا الأساس يضعف كلما تصفحنا تاريخ مدن العالم والذي نجد فيه أن اغلبها يميل إلى الحداثة، ومن ثم ليس بالضرورة أن يكون هذا المعيار من أهمية ،ولا سيما وان كثيرا من المدن التاريخية اضمحلت وزالت لتقوم على إطلالها مدن أخرى حديثة .

6-الأساس الوظيفي

يكاد يتفق الجغرافيون على أن الأنشطة الاقتصادية قد تكون فيصلا بين المدينة والقرية ،فالحرف المتعددة غير الزراعية هي السائدة في المدينة ، في ما لا توجد ما يماثلها في القرية كالصناعة والتجارة والخدمات ،كما يندر أن تمارس الزراعة في المدن ، ولكن إذا كان ذلك يصدق في الدول النامية والمتخلفة لتخلف مقومات الحياة وسبلها فيها ،فانه في الدول المتقدمة عكست هذا الأساس بعد أن قرّبت المسافات بين مدنها وريفها ، فإنشات المصانع في الريف ومدت إليه مختلف الخدمات وفتحت فيه الأسواق التجارية ،الأمر الذي أدى إلى ضمور أساس التمييز بين مدنها وريفها .

التحضر

يعد مصطلح التحضر واحدا من المصطلحات العلمية الفضفاضة وغير الواضحة بحدودها ومدلولاتها ،وعلى العموم يمكن تعريفه بأنه عملية تجّمع وترّكز أعداد كبيرة من السكان في أماكن معينة محدودة المساحة من الدولة تسمى المدن ،ويعرف أيضا بأنه نمو عدد السكان الذين يقيمون (يتمركزون) في مراكز مصنّفة على أنها حضرية ،وارتفاع وزنهم النسبي إلى مجموع السكان ،ويعرف التحضر لإغراض إحصائية على انه مجموعة السكان المقيمة في تجمعات بشرية تقع في تصنيف المدن .

وبالرغم من تعدد المداخل لدراسة عملية التحضر فانه يمكن حصرها في اتجاهين أساسيين هما :

1-الاتجاه أو التعريف الديموغرافي للتحضر

يركز هذا الاتجاه على عدد السكان أو الحجم السكاني ،إذ يعزو أصحاب هذا الاتجاه تبلور عملية التحضر وتطورها وتداعياتها المرافقة اجتماعيا واقتصاديا من حيث نوعية البناء ومساحته إلى الكم السكاني ، فيتم تصنيف المجتمعات السكانية على أساس حد معين من عدد السكان أذا تجاوزه عدد سكان المجتمع البشري عدَّ مدينة وإذا قل عن ذلك الحد عدَّ قرية أو بلدة ، وبناء على ذلك يكون مستوى التحضر لأي دولة هو النسبة المئوية للسكان المقيمين في المدن من جملة سكان الدولة وعند نقطة زمنية محددة .

- 2.الاتجاه أو التعريف الاجتماعي للتحضر
- يقوم التمييز بين المجتمعات الريفية والحضرية تبعا لهذا التعريف على أسس وقواعد مستنبطة من أنماط الحياة الاجتماعية ، فبعض الباحثين صنف المجتمعات البشرية إلى نوعين ؛إحداها يقوم على أساس المكانة status) والآخر يقوم على المصلحة والتعاقد(contract) ، وميز البعض الآخر المجتمعات إلى مجتمعات يشيع فيها التضامن الآلي(mechanical)وأخرى يشيع فيها التضامن العضوي (organic).

مقومات التحضر

- أن الهجرة من الريف إلى المراكز الحضرية ، والتباين الريفي-الحضري لمعدلات الزيادة الطبيعية ،والهجرة الحضرية والدولية (أي الهجرة الوافدة من خارج الدولة إلى مراكزها الحضرية)،وإعادة تصنيف الأماكن الريفية التي تحقق شروطا لاعتبارها أماكن حضرية (بما في ذلك إقامة مراكز حضرية جديدة) هي العناصر أو المقومات الديموغرافية الأساسية للتحضر .

النمو الحضري

- هو عملية تعكس زيادة عدد السكان الحضر وتقاس بعدد سكان المراكز المصنفة على أنها حضرية ،فنمو المدينة هو عملية مكانية وديموغرافية وتدل على تزايد أهمية المدن كمناطق تركز سكاني في مجتمع معين

درجة التحضر

- يقصد بها نسبة سكان المدن لمجموع السكان في الدولة ،أو الوزن الفعلي النسبي لما يمثله سكان المدن في مرحلة ما نسبة إلى سكان الدولة في المرحلة نفسها .